

## العلاج الطبى القديم فى الصين

تضاربت الأقوال عن تاريخ أول دستور للأدوية فى الصين وهو الذى يطلق عليه اسم ( بن تساو ) أى مجموعة الأعشاب . ذكر البعض أن كتابته كانت قبل مولد المسيح بألفى عام . وقيل إن إمبراطور الصين ( شين نونج ) هو الذى كشف عن عدد كبير من العقاقير النباتية والسموم وجمعها فى هذه المجموعة النباتية الكبرى . وكان عددها ثلاثمائة وخمسة وستين عقاراً طبيياً تمثل أيام السنة الشمسية مقسمة إلى ثلاث طبقات . الطبقة العليا من مائة وعشرين عقاراً تمثل ( إكسير الحياة ) والمائة والعشرون الوسطى لحفظ الصحة . أما المائة وخمسة وعشرون الباقية فللعلاج من الأمراض .

ويذكر الكتاب خواص كل من تلك الأعشاب وأين تنمو وكيف ومتى تجمع وطريقة تحضير الدواء منها . وما ذكره من تلك العقاقير الأفيون والجنسنج والقنب وخانق الذئب والقرطم والراوند والقرفة وجوز الطيب . وأملاح معدنية كأملح الزرنيخ والحديد والنحاس والزنبيق والكبريت . ووصف العلاج بالأشباه . أى أن مرض عضو فى الجسم يعالج بجزء من نبات أو حيوان مماثل له أو شبيه به .

واستخلصوا المواد الفعالة بغلى النباتات ثم تركيز محاليلها وإعداد أنواع من النبيذ تملط بالأدوية وخاصة النبيذ المخدر . كما كانت الحبوب المحتوية على الأعشاب والمعادن من الأدوية التى تعاطاها مرضاهم .

ومن بين عقاقيرهم ما وصل إليهم من بلاد العرب كالترياق الذى كان الأفيون من أهم المواد التى يضعونها فيه .

وتقدم لنا طرق العلاج في الصين مثلاً رائعاً لتأثير العقيدة الدينية على الطب إذ كان للفلسفة الكونفوشية أثر كبير على معتقداتهم في الطب . فكان يوجد توازن بين العنصر ( يانج ) المذكور و ( ين ) المؤنث إذا كان المرء يتمتع بصحته . فإذا اختل ذلك التوازن أصيب بالمرض . وإن الإنسان مثل الكون المركب من خمسة عناصر وهي الخشب والذات والأرض والمعدن والماء ويتقابل هذا في الإنسان خمس وهي الأحشاء والحواس والألوان . . . . وكل منها خمس . وكانت وصفاتهم الطبية تحتوي على خمسة عقاقير تؤخذ على خمس مرات .

### اليابان :

كشفت الآثار التي عثر عليها في مدينة ( نارا ) في اليابان عن كثير من العقاقير الطبية والآواني والأدوات التي استعملوها في طبهم . ومن بين الستين عقاراً التي وجدت عدد ليس بالقليل انتقل إليها من بلاد الفرس والصين وكذلك ظهر اهتمامهم بالنظام الغذائي وبالبحث عن إكسير الحياة .

### اليونان وأمجادها الطبية

مضى نحو ألف عام بين حضارة المصريين أيام الفراعنة وبين ازدهار حضارة اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد وظهر في خلال تلك الفترة حضارات أخرى عظيمة مثل الحضارة الميثية في جزيرة كريت وطروادة وغيرها اندثرت ولم يبق إلا القليل من آثارها .

وفي آسيا الصغرى بدأت حضارة الإغريق في الظهور منذ القرن السابع قبل الميلاد وأسست أول مدرسة في الطب في ( كنيديوس ) ثم في ( قوس ) المدينة التي ولد فيها وعاش أبقراط الملقب ( بأبي الطب ) وعلا

شأنها في الطب والعلاج .

امتألت أشعار هوميرو في الإلياذة والأوديسة بصور حياتهم ومعتقداتهم وخرافاتهم وكيف كانوا يمارسون الطب وأنهم من مصر أخذوا كثيراً من معارفهم « والحقيقة أن كل شيء كان يأتي إلى اليونان من مصر . » كان اليونانيون فلاسفة ومفكرين وطلاب علم عباقرة فأخذوا من الطب المصري القديم ما رأوه صالحاً وابتعدوا ما أمكنهم عن طقوس السحر والدين في علاجهم . وإن كان للطب الديني شأن كبير في معابد إسكولاب إله الطب .

ومن آراء فلاسفتهم وأطبائهم نظريات صحيحة وأخرى خاطئة . كان أرسطو يعلم أن القلب مركز الأعصاب في الجسم وأنه عضو مقدس نبيل لا تصيبه الأمراض مطلقاً . لذلك ابتعدوا عن دراسته وجعلوا حقيقته .

وقالوا بالطبائع الأربعة التي تتوقف على سلامتها صحة الإنسان وهي الدم والبلغم والمرارة السوداء والمرارة الصفراء . فإذا زادت أو قلت كمية إحداها دل ذلك على المرض .

## معابد وإسكولاب العلاج النفسى

كان اسم إسكولاب هو أول اسم طبي عرف في اليونان . ثم أقاموا له المعابد على سفوح الجبال المحاطة بالغابات تمر بها جداول المياه وجعلوا منها مستشفيات روحية يهرع إليها المرضى من الرجال والنساء والميتوس من شفائهم كالعمى والمصابين بالشلل أو الصرع أو غيرهم من الباحثين عن معجزة إلهية ترد عليهم صحتهم .

وصنعوا تماثيل لإسكولاب تصوره كرجل في عنقوان شبابه وممتلىء صفة وقابض بيديه على عصا يلتف عليها ثعبان . وبقي الثعبان الملتف على العصا رمزاً للصيدة والصيدليات حتى اليوم . كانت الثعابين عند الإغريق رمزاً للحياة والحكمة والشفاء . وامتلات بهم معابدهم .

وينام المرضى في قاعات فسيحة في المعبد وسط الهدوء الشامل ، ويعنى الكهنة بشؤونهم أكبر عناية يتاون الصلوات والأناشيد ويفسرون لهم الأحلام ، ولا مانع من استعمال عقاقير من أعشاب مغلية أو مذابة في النبيذ أو ممزوجة بالعسل . وقد تفيدهم مياه الينابيع التي عرفت فائدتها الطبية بعد نحو ألفى عام لاحتوائها على أملاح معدنية ، أو يمارسون تدليك أجسامهم بدهانات وزيت أو يضمّدون جراحاتهم ويضعون الجبائر على كسورهم . . .

وكان أغلب العقاقير من النباتات التي يجمعها العشابون وجامعو الجذور والتزموا بقواعد خاصة لاقتلاعها من الأرض فكان بعضها يجمع في الظلام أو أول الشهر القمري أو آخره أو يرددون تعاويذ أو أناشيد خاصة .

ومن بين الأعشاب الطبية كثير ما زال يستعمل حتى اليوم . وكان الثوم والأفيون هما العنقارين اللذين أهدتهما الآلهة المصرية إلى هيلين لتخفيف آلامها وساعدتها على النوم كما ذكر هوميروس . . . .

وانتشرت بين اليونانيين خرافات كثيرة إلى جانب طبيهم الديني في المعابد . فقد كان رقم سبعة مقدساً عندهم . هناك سبع عجائب في العالم . وسبعة أعمار للإنسان . وسبع سماوات وسبعة أبواب للجحيم وسبعة كواكب وإن الكواكب آلهة تؤثر في حياة الأفراد والشعوب وأخلاقها وانتشر أيضاً علم التنجيم .

### أبقراط ( أبو الطب التجريبي ) :

ولد أبقراط أعظم أطباء اليونان القدماء بل العالم المعروف في عام ٤٥٠ قبل الميلاد في جزيرة ( قوس ) .

ويعود سر عظمته إلى نبل أخلاقه وإلى الكثير من وسائل العلاج التي بناها على أسس علمية تجريبية بعد أن كان أكثر الطب في معابد إسكولاب . والكتب الكثيرة التي ألفها أو جمعها تلاميذه في موسوعات أهمها المجموعة البقرافية وتشخيص الأعراض والأوبئة والتسنين والحكم والقسم - ترجمت إلى لغات العالم وإن كان للنساطرة والعرب الفضل الأكبر في ترجمتها وحفظها عبر الأجيال .

لم يكن أبقراط من محبذى العلاج في المعابد وهو وإن كان يؤمن بالتأثير النفسى على سرعة الشفاء فإنه كان يعتقد أنه إذا عرفت أسباب المرض أمكن علاجه ، وكان يؤمن بنظرية الطبائع الأربعة وأن المرض يحدث نتيجة نقص أو زيادة أحد العناصر الأربعة . وأن وسيلة العلاج المقيئات والحقن الشرجية أو الفصد . ولم يكن يستعمل العقاقير إلا بعد

أن يتأكد أنها الوسيلة الوحيدة بعد أن يترك الفرصة للطبيعة أن تعمل بنفسها على استرداد المريض لصحته . كان بقراط طبيباً وجراحاً وبرع في الجراحات ورد المفصل المخلوعة وعلاج الكسور .

وهو إلى ذلك كله كان صيدلياً . ففي عهده والعصور التالية له كان المرضى يأتون إلى دور الشفاء التي أطلقوا عليها اسم ( ياتريون ) وتكون من عيادة للكشف على المرضى ومعمل لتحضير العقاقير من جرعات ومراهم وحقن شرعية . أما إذا حمل المريض دواءه معه إلى منزله فكان يوضع في غلاف مختم بخاتم الطبيب الصيدلي .

قسم أبقراط العقاقير إلى أدوية تستعمل من الظاهر كالمكمدات والزيوت والمراهم وأخرى يتناولها المريض منها السائل مثل الأعشاب المغلية يتجرعها مع العسل أو النبيذ أو على صورة حبوب أو قطرات للعين وهي على هيئة قلم صغير تمس به العين أو لبوسات أو غيرها . . .

كان أبقراط يستعمل في علاجه أكثر من مائتين وثلاثين من العقاقير والأعشاب ذكرت في المجموعة البقرافية .

وأهم من ذلك كله حكمة بقراط وإنسانيته التي خلدها الدهر لهذا الطبيب المثالي صاحب القسم الذي يردده الأطباء في أنحاء كثيرة من العالم قبل ممارسة مهنة الطب وغيرها من المهن الطبية ومن نصائحه :

« أحثك على أن تكون كريماً وأن تقدر ظروف المريض . فلتكن خدماتك أحياناً دون مقابل . . . وإذا أتيت لك الفرصة لإغاثة الغريب في مأزق مالي فقدم له المعونة . لأنه حيث يوجد حب الإنسان للإنسان يكون أيضاً الحب الحقيقي لفن الطب » .

تيوفراست ( عالم النبات والأعشاب الطبية ) :

عاش تيوفراست الطبيب والفيلسوف وعالم النبات العظيم قبل الميلاد

بثلثائة عام تقريباً . ولم يكن ليطلق عليه فقط اسم ( أنى النباتات ) لأعماله ودراساته عن النباتات بل سمي أيضاً ( أبا الأقرباذين ) للجهود الرائعة والدراسات القيمة التي قام بها للتعريف بخواص الأعشاب الطبية . وترك كتباً عن النباتات ووصف جميع الأشجار والشجيرات والأعشاب والحشائش . ودراسة جذورها وسوقها وأوراقها وأزهارها وثمارها وبدوورها . وشرح خواص النبات وصفاتها الأقرباذينية لعلاج شتى الأمراض المعروفة حينذاك . وكان من بينها العقاقير المهدئة والمخدرة والتي تيسر الولادة أو تخفف آلام الوضع .

## الطب والصيدلة في الإسكندرية

أنشأ الإسكندر الأكبر ميناء الإسكندرية ومات عام ٣٢٣ قبل الميلاد وقد خلفه بطليموس سوتر مؤسس أسرة البطالمة التي حكمت مصر نحو ثلاثمائة عام . واستعانت بعدد من العلماء اليونانيين ومهندسي المعمار فيها ليجعلوا من المدينة الجديدة مدينة ذات حضارة عظيمة ومركزاً للعلوم والفنون وأسسوا المتحف والمكتبة المشهورين اللذين حملا . مشعل العلوم فترة طويلة من الزمن . إذ لم يكن المتحف مبنى بالمعنى المعروف له لحفظ الآثار بل كان معهداً للدراسات العلمية والبحوث بفضل ( ستراتون ) الذي كان تلميذاً لثيوفراست عالم النبات اليوناني . كان بمثابة جامعة يؤمه الطلبة الذين قدر عددهم في وقت ما بأربعة عشر ألف طالب يتلقون المحاضرات من أساتذتهم في مختلف العلوم والفنون في معامل للكيمياء والطبيعة ومراصد وقاعات فسيحة لتعليم الطب والتشريح الذي كان يشتمل على تشريح الحيوانات والإنسان وسمحوا بتشريح أجسام المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام وهم أحياء .

وفي حدائقها مئات الأنواع من الأعشاب والنباتات . وقد رحبت جامعة الإسكندرية بهؤلاء الأساتذة والعلماء والطلبة وهيأت لهم مساكن يقيمون بها .

احتكر البطالمة صناعة ورق البردي وكان أداة ثمينة في أيديهم لتسجيل العلوم القديمة والحديثة يجعلون منها صوراً متعددة يبيعونها إلى المكتبات الأوربية الموجودة حينذاك .

وكان من بينها مجموعة أبقراط وطب قدماء المصريين وكل ما وقع

تحت أيديهم من فلسفة وعلم وأدب وتاريخ حتى قيل إن مكتبة الإسكندرية جمعت في وقت من الأوقات ثلاثة أرباع مليون بردية مكتوبة .  
 في هذا المتحف أو الجامعة الإسكندرية ظهر علم السيمياء أو الكيمياء القديمة لأول مرة في التاريخ . كان الغرض الرئيسي منه الحصول عن طريق التجارب الكيماوية على الذهب والمعادن النفيسة من الرصاص . كما أنهم حاولوا العثور على ما سموه ( المذيب العالمي ) الذي يذيب كل مادة أو معدن في الوجود . لم يعرف شيء عن المواد التي أجروا عليها تجاربهم للحصول على هذا المذيب العالمي . إذ أنه بالرغم مما كشف عن عمليات الإذابة والغليان والتقطير والترشيح والتصعيد والتنقية وغيرها وتصميم الأجهزة التي قام هؤلاء السماويون الأوائل باختراعها وتركيبها فإنهم احتفظوا بعملياتهم الكيماوية سرّاً وكثيراً ما كانوا يكتبون تحضيراتهم السرية في صورة ألغاز مبهمّة لا يتاح لغيرهم تفسيرها أو الكشف عنها بل قد يحدث أحياناً أنهم هم أنفسهم كانوا ينسون مفتاح تلك الألغاز بعد فترة من الوقت .

ولم ينفق السماويون كل وقتهم وجهودهم في البحث فقط عن حجر الفلاسفة بتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب . بل اتجهوا أيضاً إلى البحث عن عقاقير تحفظ عليهم صحتهم . والعباقرة العلماء الذين بحثوا عن الحقيقة كشفوا عن أن وظائف جسم الإنسان وصحته إن هي إلا نتيجة تفاعلات كيماوية طبيعية داخل الجسم ولذلك بحثوا عن طريق التفاعلات الكيماوية عن علاج واحد لجميع الأمراض والعلل الإنسانية . بل أمأوا حياة طويلة خالية من الأمراض قد تمنحهم الخلود على الأرض وسموه ( إلكسير الحياة ) .

كانت بحثاً بدائية ولكنها كانت أول خطوة أعقبتها جهود العرب الرائعة التي وصلت بالعالم إلى معجزات الكيمياء في العصور الحديثة .

وفي إسكندرية البطالمة عرف كثير من الصفات الطبية لأعشاب  
 ونباتات كثيرة وصفات المعادن وأجزاء الحيوانات .  
 وكتب ( نيكاندر ) أحد أطباء جامعة الإسكندرية القديمة قصيدتين  
 شعريتين إحداهما وهي ( الألكسيفارما ) عن العقاقير الطبية ودراسة  
 للسموم النباتية والحيوانية والمعدنية ومضاداتها الشافية و ( الترياق ) وهو  
 أيضاً عن علاج السموم بالترياق الذي أصبح له شأن عظيم في عالم الطب  
 والصيدلة عند العرب ثم في أوروبا خلال العصور الوسطى .  
 وذكر المؤرخ بلوتارك أن ( فيلوميتر ) ملك برجامون كان يزرع  
 النباتات الطبية المخدرة والسامة في حدائقه ويشرف بنفسه على جمع  
 أعشابها وثمارها بنفسه وتجربة أثرها على الإنسان والحيوان .

### مثيريدات :

ملك بنتوس . درس خواص السموم وأثر الكميات الصغيرة منها  
 والحصانة التي تعطيها للجسم إذا زيدت تدريجياً . وكان يجري التجارب على  
 نفسه وأقاربه أو المجرهين المحكوم عليهم ويسجل مذكرات بملاحظاته .  
 وذاع صيت الترياق الذي أعده ( مثيريدات ) وسمى ( ترياق  
 مثيريدات ) أو الترياق العالمي ، وهو مركب من مجموعة كبيرة قد تبلغ المئات  
 من العقاقير البسيطة وسموم الثعابين يمزجها بدم البط . وأصبح أهم وأتمن  
 عقار يباع في الصيدليات .  
 كان هناك أيضاً كثير من العشابين وجامعي الجذور الذين لا تحتاج  
 مهنتهم إلى علم أو دراسة . كما كان يساعد الصيدلي والطبيب في عملية  
 تحضير العقاقير طهارة وصانعو المراهم والجبائر واللبخات والذين يقومون  
 بعمل الحجامة والنصد . . .

## الطب الروماني

انتقلت الحضارة من الإسكندرية إلى روما . وقد عرفت طب معابد إسكولاب اليوناني حتى عام ٢٢٠ قبل الميلاد حين ظهر ( أركاجاتوس ) الذي عرف بعقاقيره وطرق علاجه القاسية .

كان هناك أطباء ولكنهم من طبقة الرقيق إذ كانوا لا يحبون الأطباء اليونانيين ويتمضون عليهم الأرقاء والعشابين الجهالة والسحرة والمجانين واشتهر من حکام روما ( كاتو ) الملقب بالرقيب وجعل نفسه طبيباً لأسرته ولشعبه . والغريب أنه عاش إلى ما بعد الثمانين في صحة جيدة . كان يعالج كل الأمراض بالكرب فيضع أوراقها على الجروح والقروح والأورام أو يتعاطاها المرضى مع قليل من النبيذ . وهو يردد أن لا حاجة إلى الأطباء حيث تكثر زراعة نبات الكرب . ومن وصفاته الطريفة : « يسخن بول شخص يأكل كميات كبيرة من الكرب . ثم يوضع هذا البول على الجزء المريض . وإذا اغتسل الأطفال الصغار به فإنهم لن يصابوا أبداً بالزوال والضعف » .

وتروى القصة التالية عن الطبيب الإغريقي ( إسكابياد ) وهو اسم قريب الشبه باسم إله الطب الإغريقي ( إسكولاب ) . فقد مر يوماً بجنائز في طريقها إلى المقابر . وإذا به يضع يده على جسم الميت في صندوقه بحركة لا شعورية دفعته إليها طبيعة مهنته ولم يلاحظ أحد من المشيعين ما فعل . واشدة دهشته كانت تلك اللمسة السريعة كافية لأن يتأكد بأنه ما زال ينبض بالحياة . سار « إسكابياد » بين المشيعين حتى باب القبر وإذا به يصرخ قائلاً : « أنا إسكابياد الطبيب . لا تدفنوا الميت فهو حي . أسرعوا بإعادته إلى المنزل » ... ثار القوم وغضبوا أول الأمر ولكنهم

أذعنوا أخيراً . وفي المنزل أجرى له تنفساً صناعياً وسماه شراباً منعشاً وإذا بالميت يتحرك ويعود إلى الحياة . . . .

كان للمعجزة التي قام بها الطبيب إسكليبياد أثرها في شعب روما الذي تدفق على عيادته وكان قبل ذلك الطبيب المغمور . واطمأنوا منذ ذلك اليوم إلى علاج أطباء اليونان . وتقدم الطب وتخصصوا في الأمراض المختلفة في الجراحة وأمراض العين والأذن . وكانت العقاقير يصنعها الأطباء الصيادلة ويحتفظون بسريتها ويبيعونها بأعلى الأثمان . كانت قطرات العيون توضع في أوعية صغيرة دقيقة الصنع مختمة بخاتم الطبيب الصيدلي المسؤول عن إعدادها ويكتب على الوعاء من الخارج أسماء العقاقير الموجودة في تركيبه . وكانوا يبيعون في الصيدليات التي تسمى عندهم الخان الطبي Talerne Medica عقاقير من الأعشاب والأملاح المعدنية وأجزاء الحيوان . من بين النباتات اليرواح والأثروبين والأفيون والفاليريان تستعمل في التخدير أو تساعد على النوم .

وحتى ذات رائحة عطرية تستحب لتطهير الفم . وكان لمساحيق الوجه وأدهنته والأقنعة والزيت والمعالجين للتجميل ركنا في الصيدليات . واستعملت النساء لبن الحمير للاستحمام وغسل وجوههن . . . .

### ديسقوريدس :

كان جراحاً في عهد الإمبراطور نيرون وأتاحت له تنقلاته مع الجيش جمع عقاقير كثيرة وتصنيفها وشرحها شرحاً دقيقاً سهل على علماء العصور التالية معرفتها . وخصوصاً كتابه عن «الأعشاب» ووصف الأفيون وكيف يحصل عليه من ثمار نبات الحشخاش وذكر فوائده لانوم والتخدير وفي السعال المزمن وحذر من تناول كميات كبيرة منه قد تؤدي إلى الموت .

وحضر شحم الخنزير بطريقة طبية نصنع المراهم . كذلك ( خل بصل العنصل ) ونباتات مثل خاتق الذئب والصبر والخنزيريل . ثم النشادر وانزئبق وسماه الفضة السائلة . . ووصف الحديد لعلاج نزيف الرحم واثمقوبة الضعاف . وقد أحصى بعضهم نحو تسعمائة وثمانية وخمسين عقاراً كتب عنها ديستوريدس وشرحها .

### سيانسوس :

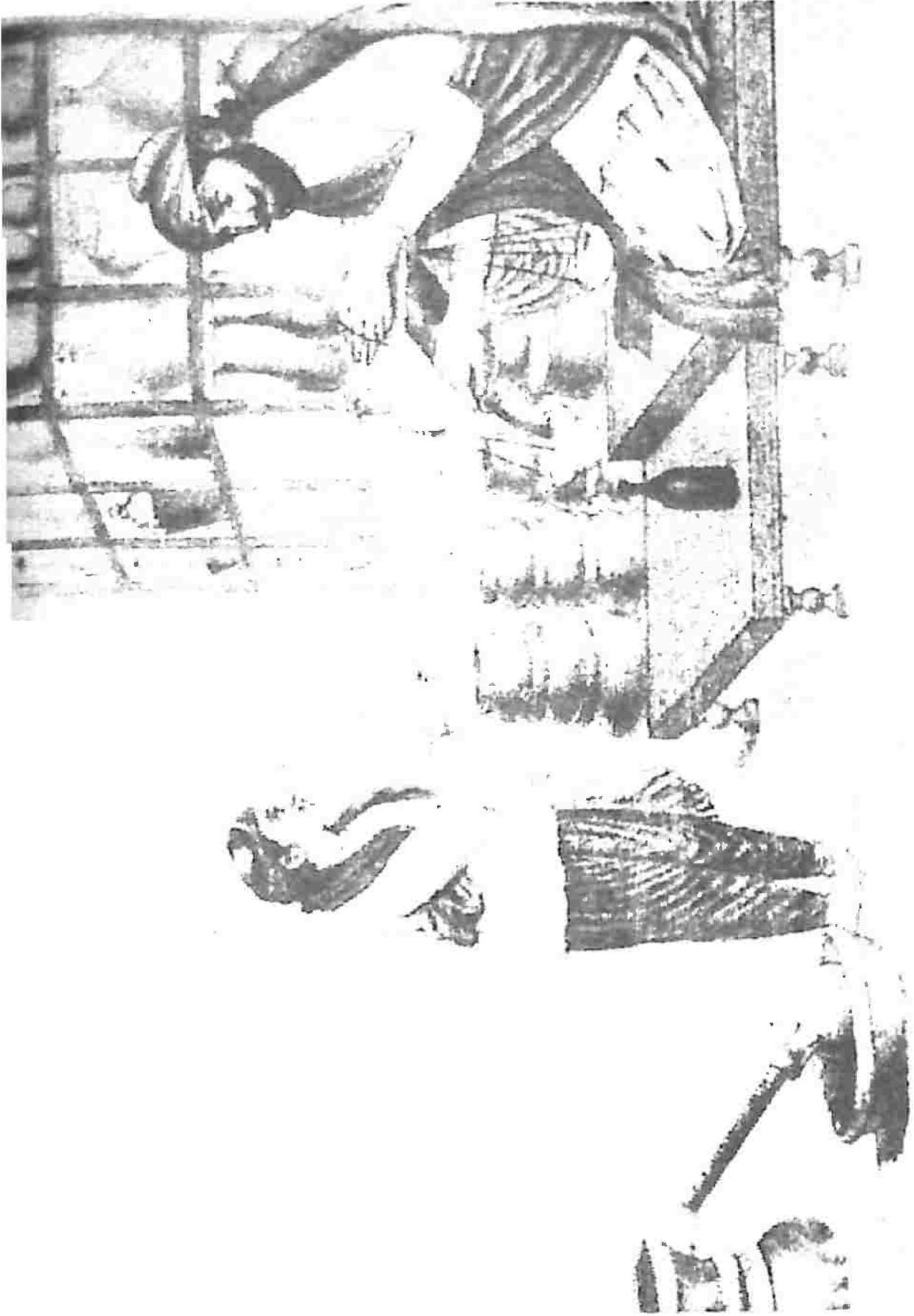
صاحب الموسوعة الطبية المعروفة باسم (De Re Medica) جمع فيها كل ما عرف من عقاقير طبية كانت تستعمل في زمانه .

### جالينوس :

ظهر جالينوس بعد مولد المسيح بثمانية وثمانين عاماً أى بعد وفاة بقراط بنحو خمسة قرون وكان منشؤه في آسيا الصغرى في بلدة برجامون وكان بها مكتبة ضخمة وحركة علمية ضخمة مثل ( قوس ) مدينة أبقراط . وكان مثله عظيم بقيت أعماله وآراؤه وبحوثه خالدة وترك عدداً كبيراً من المؤلفات في الطب والصيدلة ظلت تدرس في جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر . ذكر فيها آلاف العقاقير مما عثر عليه بنفسه ودرسه في رحلاته الطويلة في البحر الأبيض المتوسط والحمسة الأعوام التي قضها بجامعة الإسكندرية وأضاف إليها أمزجة للشرب كالترياق . وكان يؤمن بفائدته إيماناً عظيماً وسماه ( المزيج السحري العالمى ) وكان يحضره بنفسه من أكثر من مائة عقار وأخذ مكانه في الدساتير الطبية وفي الصيدليات بعد أن يغلف ويوضع عليه خاتم الدولة . كما قام بتحضير دهانات أساسها الصمغ والزيت وشحم الخنزير ووضع طرقاً خاصة لتحضير العقاقير ما زالت تستعمل حتى اليوم في الصيدليات وسميت بالصيدلة



صيدلية في بغداد في عصر العباسيين



صيدلي عربي أثناء قيامه بتحضير دواء في صيدليته .

الجالينية . . وكانت عيادته وصيدليته في الطريق المقدس في روما وكانت تسمى الحان الطبي . . .

## ظهور المسيحية والطب والصيدلة

انتقلت الحضارة العلمية بعد اضمحلال إمبراطورية روما إلى فرنسا غرباً وبيزنطة شرقاً . وكان يتخذ مهنتي الصيدلة والطب في فرنسا الأرقاء الرومان بعد هجرتهم وتحررهم . وظهرت الصيدليات المستقلة لتحضير العقاقير وبيع الأعشاب وكانت قد بدأت تنفصل عن عيادات الأطباء منذ أيام جالينوس في روما . وتركوا من آثارهم قطرات للعين على هيئة مستطيلات صغيرة صلبة تذاب عند استعمالها ، ويبحث جامعو الآثار عن هذه المستحضرات الطبية القديمة ويعتبرونها من أندر الآثار وأثمنها .

وكان هناك الرهبان ممن طاردهم الرومان قبل الاعتراف بالمسيحية وظهر أيضاً كثير من الدجالين والمشعوذين كانوا يمارسون مهنة التطيب بالأعشاب والصلوات والأحجبة وفتحت الأديرة أبوابها للمرضى تواسيهم وتخفف عنهم أمراضهم وجعلت لهم أماكن للإقامة كالمستشفيات وكان من الرهبان من يقوم بجمع النباتات الطبية وإعداد العقاقير منها .

أما في الشرق فقد برزت إمبراطورية بيزنطة وأسس إمبراطورها قسطنطين مدينة القسطنطينية لتنافس الإسكندرية في مجدها وحضارتها العلمية وإن لم يتحقق أمله لما حدث في عاصمته ثم في مجمع (أفسس) من مناقشات دينية وخلافات بين رؤساء رجال الدين منها .

## أوريباسيوس :

ظهر في هذه الفترة أوريباسيوس من أشهر أطباء ذلك العصر . ولد عام ٣٢٥ ميلادية في برجامون في آسيا الصغرى وهي التي ولد فيها جالينوس وقضى معظم حياته في القسطنطينية في عهد إمبراطورية بيزنطة وعرف بموسوعته الطبية التي ترجم بعض أجزاءها عيسى بن يحيى إلى العربية وترجع أهميتها إلى احتفاظها بالكثير من الطب القديم الذي جمعه في سبعين مقالة منها المسهلة والمقيئة والمدررة للبول والمنفضة للدم والمكمدات واللبخات والأغذية وسائر العقاقير وطرق إعدادها .

## النساطرة

انتقلت حضارة اليونان والإسكندرية إلى الشرق بفضل النساطرة الذين أدانتهم المسيحية بالانحراف عن الدين الحقيقي . ونفى بعضهم إلى مصر وعلى رأسهم بطريركهم نسطور حيث أمضى بقية حياته في الصحراء ومات ودفن بالقرب من أخميم . وهاجر البعض الآخر من أتباعه إلى (الرها) في سوريا وكان بها مكتبة علمية حافلة ومدرسة طبية فنقلوا إليها مؤلفات أفلاطون وأرسطو وبقراط وجالينوس وترجموها إلى الفارسية والسريانية ثم إلى العربية . وأصبحت مركزاً للطب وغيره من العلوم حتى عام ٤٨٩ حين قرر الإمبراطور ( زينو ) البيزنطي إغلاق مدرسة الرها واضطهاد النساطرة . فاضطروا إلى الفرار إلى ( جنديسابور ) في بلاد فارس وكان ملكها الساساني كسرى أنوشروان فرحب بهم . وعند ما أغلق ( جستنيان ) جامعة أثينا سنة ٥٢٩ لجأ عدد من فلاسفة الإغريق إلى فارس وأصبحت جنديسابور من أكبر مراكز العلوم في الشرق ونشطت حركة

الترجمة من اللغات اليونانية والهندية إلى اللغة الفارسية واللغة السريانية وازدهرت جامعاتها وكان بها مستشفى ومدرسة للطب وعلوم الفلك والرياضة والفلسفة ، وفي مدرستها الطبية وضع أول أقرباذين للأدوية . وفي عصور الخلفاء المسلمين انتقلوا إلى بغداد فازدادت حركة الترجمة من اليونانية والفارسية والهندية والسريانية واللغات الأخرى إلى العربية ، ووصلت الحضارة العلمية إلى قمة ازدهارها .

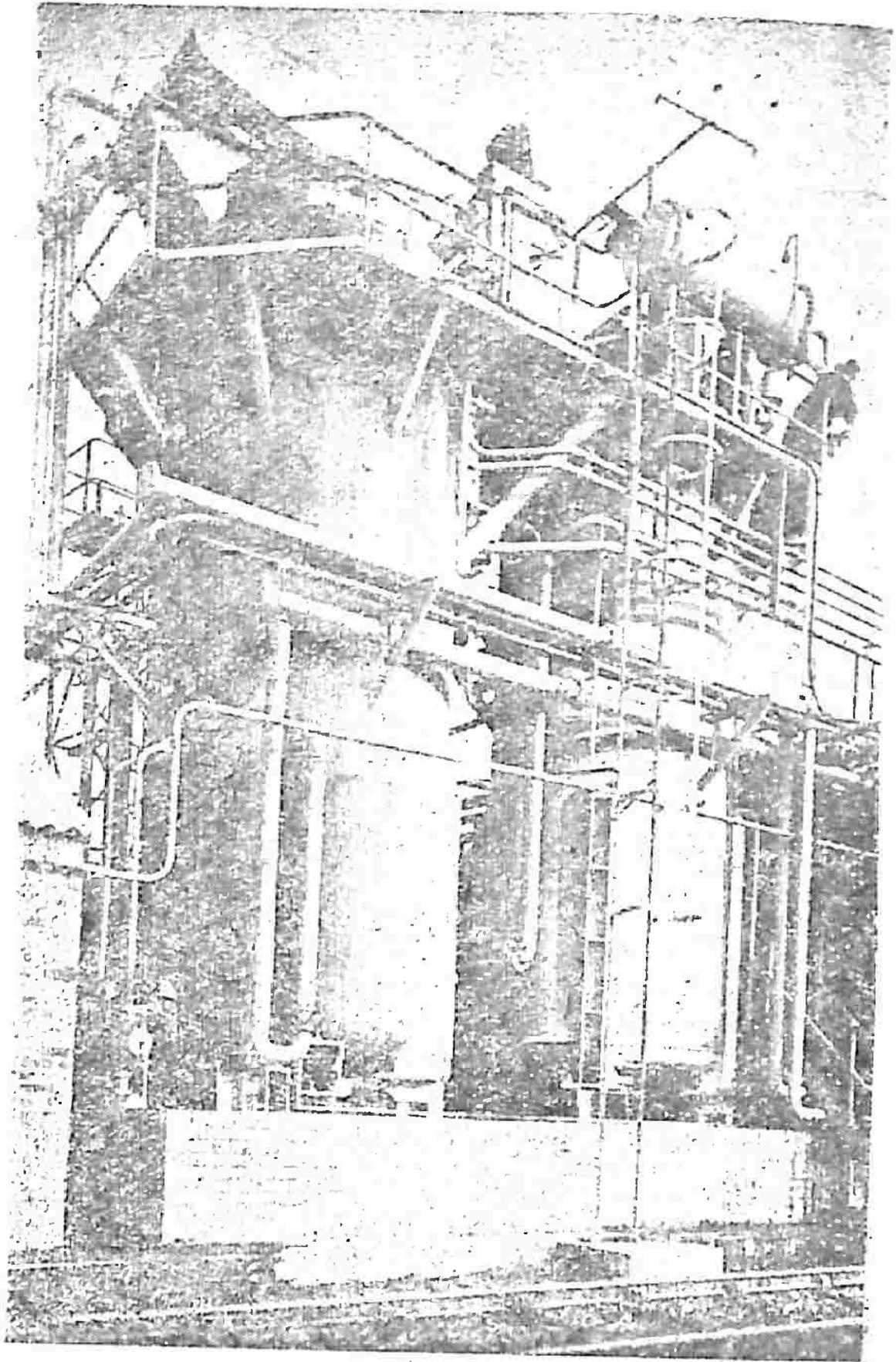
## الصيدلة والطب وحضارة الإسلام

« إذا استثنينا القليل من الشعوب نرى أن العرب قد بلغوا من المدنية درجة عظيمة لم يبلغها شعب من شعوب الأرض في مثل تلك الفترة القصيرة من التقدم والحضارة . كان دين العرب من أعظم الأديان في التاريخ نقلوا معه إلى أوروبا حضارتهم العلمية والأدبية والفنية »

( غوستاف لوبون )

وقال (جورج سارتون) في موسوعته عن تاريخ العلم: « يقول الغربيون إن العرب والمسلمين نقلوا التراث العلمي القديم دون أن يضيفوا إليه شيئاً . وهذا الرأي خطأ . إذ لو لم ينقلوا إلينا كنوز الحكمة الإغريقية وما زادوه عليها من عندهم من إضافات هامة لتوقفت المدنية عن التقدم عدة قرون » . كانت حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مثالا يقتدى به . كان يحث المسلمين على طلب العلم ، ومن بين الأحاديث المنسوبة إليه : « العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان » مما يدل على تقديره للصحة كعلم ، ومن أقواله أيضاً : « يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحداً وهو الهرم » .

أثر ظهور الإسلام على حياة المجتمع العربي تأثيراً عميقاً حاسماً . فبعد أن كان مجتمعاً بدوياً يعيش في قبائل أصبح يسكن المدن الكبيرة . وفي أقل من خمسين عاماً كانت الدولة العربية تمتد من الهند وفارس شرقاً إلى المحيط الأطلسي وشمال إسبانيا غرباً . وأصبحت الكوفة ودمشق وبغداد والبصرة وسمرقند والقيروان والقاهرة وتونس وغرناطة وقرطبة وإشبيلية وطليطلة مراكز لحضارة العرب .



مصنع تحضير ومضادات الحيوية

ومع نمو الحضارة الإسلامية انتشرت اللغة العربية وأصبحت لغة الثقافة العلمية والفنية والأدبية . وترجمت كتب اليونان والهند وفارس إلى العربية . وكان من عوامل انتشار تلك الثقافة انتشاراً سريعاً صاحب انتشار الحضارة العربية الإسلامية صناعة الورق من عجينة من الكتان وغيرها من النباتات ذات الألياف تعمل منها صفحات رقيقة وتوضع في الشمس حتى تجف . نقلوها عن سمرقند عند فتحهم إياها سنة ٧١٢ م ، وعن الصين . . وأنشأ أول مصنع للورق في دمشق تلاه مصانع في البلاد العربية الأخرى فأصبح ثمنه زهيداً في متناول الجميع . وقيل إن الوراقين الذين كانوا يبيعون الورق والكتب كانوا على جانب من الثقافة . وكانت حوانيتهم مكتبات صغيرة يهرع إليها محبو العلم يقرءون الكتب وينقلون في أوراقهم ما يريدون مقابل أجر متواضع .

وجد العرب في جنديسابور والإسكندرية والقسطنطينية مكتبات هامة ومراكز عظيمة للدراسة والعلوم . غنية بمؤلفاتها وخاصة جنديسابور التي كانت تزخر بالكتب اليونانية المترجمة إلى السريانية . فشجعوا العلماء على الحضور إلى دمشق عاصمة الأمويين ثم إلى بغداد في عصر الدولة العباسية وكان خالد بن يزيد بن معاوية من أوائل المشجعين على التأليف والترجمة زاهداً الخلاقة لدراسة علوم الكيمياء والطب والفلك . وأرسل في إحضار عدد من الكتب النفيسة في تلك العلوم وطلب من العلماء والمترجمين نقلها إلى اللغة العربية وأنشأ أول خزانة للكتب وقام بتأليف وترجمة عدد من الكتب . ويذكر التاريخ أن من بين من لبي دعوتها الراهب اليوناني ( مريانوس ) الذي تعلم الكيمياء على يديه . وكان أول كتاب ترجم في الطب ( كناش في الطب ) لأهرون الراهب والطبيب السرياني من مدرسة الإسكندرية وهو الذي ترجمه فيما بعد ( ماسرجويه ) من السريانية إلى العربية .

وألف يوحنا بن ماسويه الدمشقي الذي لقب بأبي الصيادلة موسوعته الطبية التي ظلت مرجعاً للطب والعقاقير طوال القرون الوسطى ، وقد أودعها تجاربه في معالجة الأمراض ، كما ذكر ما استوعبه من كتب أبقراط وجالينوس وديستوريدس وأوريبازيوس . وكان دقيقاً في كتابته بالرغم مما كان يلقاه من صعوبات في ترجمة المصطلحات وأسماء العقاقير والأعشاب الطبية .

ومن أشهر الأطباء المترجمين من النسطوريين والعرب ابن أثال طبيب معاوية ، وتياذوق طبيب الحجاج وماسرجويه وجرجس بن بختيشوع الطبيب السرياني الذي دعاه الخليفة المنصور من جنديسابور إلى بغداد . وكان ابنه الطبيب المشهور أيضاً بختيشوع وحفيده جبرائيل بن بختيشوع أطباء للخلفاء أيام هارون الرشيد والأمين والمأمون ومن تلاميذهم من العباسيين . وفي عصر هارون الرشيد أسس ( بيت الحكمة ) وهو دار الكتب جمع فيه ألوف المخطوطات المؤلفة والمترجمة وأقيمت فيه ندوات علمية وفلسفية وطبية كانت بمثابة مدارس لتعليم الطب والصيدلة والنباتات والكيمياء والفلك والرياضيات . . .

وبلغ اهتمام العشابين والصيادلة بمهنتهم أنهم كانوا لا يقنعون بدراسة كتب النبات والعقاقير المؤلفة في اليونانية أو المترجمة بل قاموا بالرحلات إلى مختلف الأقطار لجمع الحشائش والأعشاب والأملاح المعدنية يجرون عليها التجارب ويكشفون عن طرق جديدة للتحضير والتنقية واخترعوا الأنيق وحلّلوا عدداً كبيراً من المواد تحليلاً كماوياً . وسجلوا ملاحظاتهم بكل عناية ودقة . وفرقوا بين الأحماض والقلويات ودرسوا مثات من العقاقير الطبية من ثمار وبتور وجذور وأوراق وأعشاب ومعادن وأملاحها وعقاقير حيوانية .

وواصلوا علم السيمياء الذي رأى النور في الإسكندرية وجامعتها

العظيمة . وأجروا التجارب في البحث عن حجر الفلاسفة وإكسير الحياة .  
وفي سبيل الحصول عليهما كشفوا عن عمليات كيمياوية تعتبر أساسية في  
معامل الكيمياء حتى اليوم كالإذابة بالأحماض والتكليس والتصعيد  
والبابورة والترشيح والتجفيف في الأفران أو في الشمس .

شجع المأمون الترجمة فكان يكافئ المترجم بوزن كتبه بالذهب وأرسل  
الرسول إلى الهند وفارس ومصر . وبعث بالحجاج بن مطر وابن البطريق  
وحنين بن إسحاق وغيرهم إلى القسطنطينية للبحث عن الكتب ذات  
القيمة العلمية .

واختاروا من نفائسها الكثير عادوا به إلى بغداد حيث ترجمت إلى العربية .  
وكتب علماءهم من أمثال جابر بن حيان والرازي وابن سينا كتباً  
وموسوعات في العقاقير والمستحضرات الكيماوية والعلاج بها أو بالأغذية .  
وجاء في مؤلفاتهم الطبية كثير من الفوائد الطبية لأعشاب وأغذية من بينها  
( التمر ) كغذاء . و ( الثوم ) يحلل الرياح وإذا ضمده به لسع الحية كان  
الترياق . ( والعسل ) ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى « يخرج من بطونها  
شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » ..

و ( الكمون ) : يحلل القولنج ويطرد الرياح

( الراوند ) : يفتح سدد الكبد

( الحطمي ) : بذره ينفع في الحقن المليئة

( النعناع ) : يقوى المعدة ويمنع القيء

( الصبر ) : يفتح سدد الكبد ويذهب اليرقان .

( الحبة السوداء ) : لو كان شيء يذهب السأم عن الجسم لأذهبته

الحبة السوداء .

( الزيت ) : جميع الأدهان تضعف المعدة إلا الزيت وهو يطلق

البطن ويخرج الديدان من الداخل وهو ينفع البواسير .

## المستشفيات والصيدليات

أسست المستشفيات منذ أيام الوليد بن عبد الملك ، وفي عصر العباسيين أنشئ عدد كبير من المستشفيات في جميع عواصم ملكهم ومدنهم الكبيرة . وكانوا يخصصون قسماً منه لتدريس علوم الطب والصيدلة وأعد جزء خاص للصيدليات وتحضير العقاقير وصرفها للمرضى . واشتهر عدد من الصيادلة من بينهم عيسى المعروف بأبي قريش وكان صيدلياً في أحد المستشفيات العسكرية للمهدى .

والعرب فضل كبير على فن الصيدلة . إذ أنهم أول من اعترف بالصيدلة كمهنة وعلم مستقل بذاته . وظهرت أيضاً الصيدليات الخاصة وحيوانيت العظارة . يقول ( تشرش ) : « يعود الفضل للعرب إذ أنهم كانوا أول من أوجد حيوانيت الصيدلة لبيع الأقرباذينات . ويغلب على الظن أنه لولا العرب لما وصل الطب الأوربي إلى ما هو عليه الآن » . وعرفوا الصيدلة بأنها « العلم الباحث عن التمييز بين النباتات المتشابهة في الشكل ومعرفة منابتها صينية أو هندية أو فارسية أو مصرية . ومعرفة زمانها بأنها صيفية أو شتوية أو ربيعية . ومعرفة جيدها من رديئها . ومعرفة خواصها . إلى غير ذلك ، وغرضه وفائدته ظاهران . والفرق بين علم الصيدلة وعلم النبات أن الأول بالعمل أشبه والثاني بالعلم أشبه . وكل منهما مشترك بالآخر » .

وقيل إن أول صيدلية أنشئت كانت في بغداد عام ٧٥٤ . وفي الصيدليات العامة والخاصة أوعية مختلفة الأشكال والأحجام تحتوي على الأعشاب وأصلاح المبادئ من بينها العنبر والكافور والقرنفل والجاوى والصندل والزعفران والقرفة والخنظل والمر والمسك والتمر هندي والراوند

والجوز المقبيء والشبم والينسون والسنامكى والصبر والالحلاح وأملاح الزئبق والحديد والزرنيخ وأحماض الكلوردرريك والنتريك والبورق والكبريت ونترات الفضة . . واستعملوا الخاون والمنخل والمصفاة وغيرها من الأدوات وحضروا أنواع الشراب والجلاب والجوارشنتات والإكسير والمستحلب واللعوق والكحول والحل وماء الورد والزيوت العطرية والمراهم والفتائل واللبوس . . .

### حنين بن إسحاق :

طبيب نسطورى ولد فى الحيرة ودعاه إلى بغداد يوحنا بن ماسويه ليعاونه فى تحضير الأدوية وترجم بمعاونة ابنه إسحاق ومساعديه مئات الكتب بعضها إلى السريانية وبعضها إلى العربية مثل الحكم والقسم لأبقراط ، والأدوية البسيطة لجالينوس وأقرباذين ديسقوريدس .  
ومن المترجمين غيره ثابت بن قره وابنه سنان . كان للعلماء نشاط ندر مثله فى التاريخ لكتابة وتأليف كتب العلوم والتاريخ والفلسفة . خلفوا وراءهم الكثير من كتب الكيمياء والنبات والموسوعات الطبية والتاريخية الضخمة مثل ( قانون ) ابن سينا و ( فهرست ) ابن النديم ( ومروج الذهب ومعادن الجواهر ) للمسعودى . . .

### الطبرى :

عاصر على بن الطبرى حنين بن إسحاق . وأهم مؤلفاته الطبية ( فردوس الحكمة ) ذكر فيه كيفية استعمال الدواء والغصد والحجامة والتعاويد والأحجبة والأغذية الصحية وقواعد الصحة . وله أيضاً كتاب ( أخبار الأمم والملوك ) وكان الطبرى أستاذاً للأبى بكر الرازى .

## جابر بن حيان :

كان أعظم وأشهر كهاوني العرب . اشتغل أبوه بتجارة العقاقير في الكوفة . وتعلم جابر على الإمام جعفر الصادق في الكيمياء وأقام له معملًا يجري فيه تجاربه . وذاعت أعماله والأجهزة الدقيقة التي كان يصنعها بنفسه كالأنابيب والبراقق والأفران والأنبيق . واستعمل الموازين يزن بها الأملاح والمعادن . وكان أول عالم وكيميائي استعمل الموازين الحساسة في تجاربه الكيماوية فكان يذكر وزن كل عنصر من العناصر الداخلة في المركب الكيميائي . المراد تحضيره . ومن أهم وحدات الوزن التي استعملها الرطل والأوقية والمثقال والدرهم والدانق والقميراط .

وألف كتاب ( الموازين ) ودرس التفاعلات في الكيمياء وابتدع طرقاً للإذابة والبلورة والبرشيج والتقطير والترسيب والتصعيد والتكليس والاختزال وغيرها !

وله مؤلفات كثيرة مثل ( سر الأسرار ) و ( الخواص ) وهو من أهم كتبه في الكيمياء ، و ( إخراج ما في القوة إلى الفحل ) ، و ( وصية جابر ) ، و ( كيمياء جابر ) و ( نهاية الإتقان ) و ( كتاب السموم ودفع مضارها ) قسم فيه السموم إلى حيوانية ونباتية ومعنوية . فمن السموم النباتية السكران وقرون السنبل والأفيون والحنظل . ومن الحيوانية سرارة الأفاعي ولسان السلحفاة والعقارب والضفادع . ومن المعدنية الزئبق والزاج والزرنيخ . ومن كتبه أيضاً ( السبعون مقالة ) و ( العلم الإلهي ) و ( الأحجار ) ومؤلفات أخرى كثيرة تُرجم معظمها إلى اللغات الأوروبية وظلت مرجعاً في الكيمياء في جامعات أوروبا حتى القرن الثالث عشر . ومن أقوال جابر للمأثورة « إن من واجب المشتغل في الكيمياء العمل وإجراء التجربة . وإن المعرفة لا تحصل إلا بها » . وكان جابر أول من حضر حامض

الكبريتيك بتمطيره من الشبة وسماه زيت الزاج . كما أنه حضر حامض  
النتريك والصدودا الكاوية وماء الذهب وكربونات الصوديوم وكربونات  
البوتاسيوم وأجرى التجارب على الزئبق ومركباته . وأصبح لهذه الكيماويات  
أهمية عظيمة في العصور الحديثة . بل تكاد تكون من أسس حضارة  
القرن التاسع عشر والعشرين في الكيمياء والصيدلية والزراعة والصناعة  
مما يدل على عظمة هذا الرجل وعبقريته . ويمكن اعتباره من أعظم علماء  
العالم في جميع العصور . ولقد عرف العالم قدره فسموا الكيمياء علم جابر .

### أبو بكر الرازي :

ولد في الري بالقرب من طهران سنة ٨٥٤م وتوفي عام ٩٢٦ . أحب  
الموسيقى وكثيراً ما تردد على صديق له صيدلي في أحد المستشفيات ليعزف  
للمرضى الذين كانوا يجتمعون حوله . وكان لموسيقاه أثر كبير على شفائهم  
وبالرغم من ذلك فإن ابن جليل يذكر أنه ترك الموسيقى لأنها لا تليق بأن  
يعزفها الرجل فيما بين شاربه وشعر ذقنه . وتحول إلى دراسة الطب والصيدلة  
وأشرف على مستشفيات الري ثم بغداد . وبرع في الكيمياء وخاصة علم  
الكيمياء وحجر الفلاسفة .

وكتب في ذلك كتابه ( المنصوري ) الذي أهدها إلى المنصور أمير  
خراسان والذي ترجمه إلى اللاتينية فيما بعد جيرار الكريموني وظلت تدرس  
الأجزاء الطبية والكيمائية منه حتى القرن السادس عشر . وهذا الكتاب  
الذي يعتبر من أهم ما كتب الرازي كان سبباً في إصابته فيما بعد بالعمى  
ثم موته . إذ أنه عندما قدم هذا الكتاب إلى الأمير المنصور ليثبت فيه  
نظرياته السيميائية وإمكان تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب . كافأه  
المنصور بألف دينار وطلب منه أن يثبت عملياً صحة نظرياته ، فاعتذر وعندما

أُلح عليه وقدم له كل ما يحتاج إليه من مال وأدوات أخفقت في محاولاته .  
فغضب المنصور وأمر بضربه بالكتاب على رأسه حتى يتمزق . وكان  
هذا سبباً في إصابته بالعمى .

ولأبي بكر الرازي أكثر من مائة كتاب جمع فيها علوم العرب واليونان  
والهند ومصر . منها ( الحاوي ) وهو موسوعة من عشرين جزءاً تبحث في كل  
فروع الطب والكيمياء . وكان يدرس أيضاً في جامعات أوروبا بل إنه  
كان أحد الكتب التسعة التي كانت تدرس في كلية الطب بباريس  
سنة ١٣٩٤ .

وكان مؤلفه ( الجلدري والحصبة ) دراسة علمية رائعة وهي الأولى  
التي استطاعت أن تفرق بين تشخيص هذين المرضين . وحتى نعرف  
قيمتها الطبية نذكر أنه طبع أربعين مرة باللغة الإنجليزية بين عامي ١٤٩٤  
و ١٨٦٦ وهو من أوائل الكتب التي أخرجتها المطابع الأولى في العالم .  
وله أيضاً كتاب ( سر الأسرار ) في الكيمياء شرح فيه المواد الكيماوية  
وخواصها ووسائل الحصول عليها وتحضيرها وتنقيتها . ونظرياته في تقسيم  
المعادن إلى أرواح وأجساد وزاجات وبوارق وأملاح وأحجار ، ولكل منها  
صفاتها الخاصة ، هي أول تقسيم لعالم كيمياء .

ومن بين الأجهزة والآلات التي يصفها أجهزة معدنية وأخرى زجاجية  
ويدهشك أن تعلم أن بعض أجهزته معقد ويحتاج تركيبه إلى دقة عظيمة .  
وهو أول من حصل على الكحول بتقطير مواد نشوية أو سكرية  
بعد تخمرها . وأدخل استعماله في الصيدليات للعلاج . وينسب إليه  
اختراع خيوط الجراحة المصنوعة من جلد الحيوانات .

ومن كتبه ( من لا يحضره الطبيب ) فيعالج المرء نفسه إذا لم يتسن  
له استدعاء الطبيب . وفي هذا الكتاب وصفات كثيرة مثل :  
( شراب الكشوت ) لمن لا يحضره الطبيب وهو نافع للصفراويين

والذين بهم يرقان وحرّ في المعدة والكبد واحتباس الطبيعة وهو مجرب  
يعالج به الشباب في الصيف فينتفعون به . يؤخذ بزر كشوت أربعين  
درهماً وبزر بنفسج وبزر شاهترج ، من كل واحد عشرين درهماً .  
وأفسنتين رومي وأسان ثور وورق ورد عراقى من كل واحد عشرة دراهم  
وأجاص وعذاب وسبستان من كل واحد مائة حبة ينقع الجميع في اثني  
عشر رطل ماء حار ليلة كاملة . ويطحخ حتى ينقى أربعة أرطال . ويمرس  
ويصنى . وفي صنوه ثلاثين درهماً ترنجبين . ويصنى ثانية ويعاد إلى القدر  
مع ثلاثة أرطال سكر ويغلى وتنزع رغوته حتى يصير في قوام الأشرطة ،  
ويرفع ، الشورية منه أوقية بماء بارد نافع .

ومن أقواله المأثورة «إذا كان في استطاعتك أن تعالج بالغذاء . فابتعد  
عن الأدوية . وإذا أمكنتك بعقار مفرد فاجتنب الأدوية المركبة » .  
كانت كتابات الرازي تتناول آفاقاً واسعة في الطب والجراحة . فمن  
ملاحظات جراحية إلى عمقير تعالج أمراض العين والصدر والأمعاء  
والمثانة والحجاري البولية . استعمل مرهم الزئبق لالتهاب الجفون وأوصى بمكمدات  
الماء البارد في الحميات . كما ذكر أن العلاج يتوقف على نوع الحمى  
وأعراضها .

وكان من وسائله العلاجية غسل المثانة بماء العسل أو مغلى بذور  
السفرجل . واستعمل حقن ماء الحبل أو الأفيون المذاب في ماء الورد  
لالتهاب المثانة وتسكين آلامها . ثم يتحدث طويلاً عن الدجالين  
والمشعوذين وحيلهم والأعيهم .

على بن عباس الجوسى :

ولد في جنوب غربى آسيا فى القرن العاشر للميلاد . وله موسوعة طبية

( كامل الصناعة في الطب ) بها نحو أربعمئة ألف كلمة في جميع معارف العرب الطبية في ذلك الوقت وترجمه إلى اللاتينية قسطنطين الأفریقی .

ابن سینا :

« أعظم أطباء عصره بل جميع العصور » . و حياة هذا الفيلسوف الشاعر والعالم الطیب والفلكی والمهندس والموسیقی الذی أحاط بكل هذه الثقافات جدیرة بالدرس والفحص والتأمل یدعوننا إلیه ما نقرؤه علی صفحات مؤلفاته الخالدة الی تركها تراثاً تتناقله الأجيال .  
وتشهد قصة حياته الی كتبها بنفسه ما لاقاه فی حياته العملية الی بدأت منذ العاشرة من تقلبات .

ولد ابن سینا عام ٣٨٠ هجرية فی قرية ( أفشنا ) بالقرب من بخارى إحدى مدن التركستان . وانتقلت أسرته إلی بخارى وهو طفل صغیر فحفظ القرآن الکریم وقرأ كتب الأدب ولم يتجاوز العاشرة . فلما رأى أبوه رغبته الملحة فی التعلم أحضر له مدرساً یعلمه الفلسفة والمنطق . وإذا بالصبي الصغیر یفوق أستاذه . فینصرف عنه ویتعلم الطب بمفرده وكذلك عاوم الفلك والطبیعة والكیمیاء والمهندسة والفلسفة والمنطق والشعر . وإذا به عالم کبیر ولما یبلغ بعد الثامنة عشرة من عمره وقد استوعب الكثير من مؤلفات أرسطو وبقراط والفارابی .

وهو یكتب فی وصف تلك الأيام : « عند ما یقبل اللیل أجلس إلی مصباحی أقرأ وأدون . وکنت أغفو أحياناً إذا أرهقتی التعب . وفي أثناء النعاس كانت الأفكار تتزاحم فی رأسی حتی إننی کنت أجد حلولاً لمشاكل عویصة تأخذ فی الوضوح بعد أن استيقظ . وكثيراً ما کنت أهرع إلی المسجد ضارعاً إلی الله أن ینیر بصیرتی حتی یتاح لی فهم ما

استعصى من مسائل ونظريات . واستمر الحال على ذلك أعواماً استطعت في خلالها استيعاب علوم الكلام والمنطق والرياضيات والطبيعة . وبدأت في دراسة كتاب ( الميتافيزيقا ) لأرسطو ثم قرأته أكثر من أربعين مرة حتى كدت أحفظه عن ظهر قلب وإن لم أستطع فهم محتوياته واستجلاء غوامضها . ثم حدث لي أن كنت في زيارة لإحدى المكتبات فعرض على صاحبها كتاباً زهيد الثمن لا يتجاوز الثلاثة دراهم لحاجة صاحبه إلى المال فاشتريته ووجدت أن مؤلفه هو الفارابي العالم المشهور يشرح فيه بأسلوب واضح سهل كتاب أرسطو ( الميتافيزيقا ) فطرت فرحاً بهذه المفاجأة السارة ووزعت الصدقات على الفقراء وأنا أحمد الله كثيراً على سابق نعمته .

ومنذ صباه الباكر أحب الطب فكان يعالج الناس دون أجر وسمع بأمره نوح بن منصور أمير بخارى فدعاه إليه إذ كان مريضاً وعجز عن علاجه جميع الأطباء فشفاه . وكافأه الأمير بتعيينه في أحد مناصب قصره وفتح له مكتبته الخاصة فكان يقضي فيها معظم ساعات نهاره وليله . ولكن حياة القصر الرتيبة لم يكن ليألفها ابن سينا فهي تخالف طبيعته التي تميل إلى التنقل والسفر فطاف بكثير من البلاد حتى استقر به المقام فترة من الزمن في قرقشند في قصر حاكم المدينة . ثم ينتقل إلى جرجان وينزل ضيفاً على الأمير قابوس . ويصادف أن أحد أبناء عم الأمير كان مريضاً . ولم يوفق أحد من الأطباء في العثور على علاج له . فيمسك ابن سينا بذراع الفتى ويحس نبضه فيجده سريع الضربات ويصارع أهله بأنه يعاني من مرض ( الحب العنيف ) . ثم يدعو ابن سينا حارس القصر ويطلب إليه أن يذكر له أجنحة القصر وتفاصيل كل منها وهو في أثناء ذلك ممسك بنبض المريض . وإذا بالنبض يزداد سرعة فجأة عند ما يذكر الحارس اسم أحداً جناحة القصر . وسأل الحارس عن اسم الفتيات اللاتي يقمن بهذا الجناح فيزداد النبض شدة وسرعة عند ذكر إحداهن

ويعلن ابن سينا حب الفنى لها ويخبر الأمير بذلك فيسمح له بالاقتران بها .  
وعمت الأمير قابوس وينتقل ابن سينا بين الإمارات وينتهى به المطاف  
إلى جرجان مرة أخرى حيث يهديه أحد المعجبين به داراً يقيم بها وفي هدوء  
هذا البيت أتيح له كتابة الكثير من مؤلفاته .

وسافر ابن سينا إلى قزوين ثم إلى حمدان وهناك عينه أميرها وزيراً  
له . وفي حمدان قام بتأليف كتابه المشهور ( القانون ) وهو موسوعة ضخمة  
تقع في عشرين مجلداً جمع فيها أشتات المعارف الدينية والسياسية والطبيعة  
وما وراء الطبيعة والموسيقى والطب والكيمياء والعقاقير .

وقد توافرت له أسباب الحياة السعيدة والبحث والدرس وتبادل الآراء  
والأفكار مع العلماء والفلاسفة والأطباء والكياويين .

ويتألف الجزء الخاص بالطب من ( القانون ) من خمس كتب الأول  
منها للتشريح ووظائف الأعضاء وفي الأمراض وأعراضها وأسبابها وقوانين  
العلاج الطبي . والأجزاء الثلاثة التالية خاصة بـ « وائين الطب وقوى الأدوية  
وأعراض الجسم مبتدئاً بالرأس حتى القدمين . والمجلد الخامس وهو الأقرباذين  
للأدوية المركبة . ويقول سارتون عن ابن سينا « وفي الغالب لم يتناول العلماء  
مؤلفاً طبياً بالدرس مثل هذا الكتاب » .

وظلت موسوعة القانون الطبية مرجعاً للطب والصيدلة في كثير من  
بلاد العالم حتى أوائل القرن الثامن عشر . ولنتأمل ما جاء فيها من ذكر  
أنواع العطارات والعقاقير ، وفوائدها للأمراض المختلفة . وفي اعتقاده  
أن في الإمكان معرفة الخواص الأقرباذينية للدواء من شكله ومذاقه ولونه  
ورائحته . ووصف العلاج بالكى والتدليك والاستحمام والفضد والحجامة  
والحقن الشرجية . وذكر الكثير من النباتات الطبية التي استعملها اليونان  
والعرب والفرس والهند والصين ووصفات للتجميل من بينها كريمات  
للوجه والجلد وغسول للشعر ، وفي الجزء الخاص بالعقاقير المركبة ذكر طرق

تحضير نحو ثمانمائة عقار مركب .  
وله كتاب خاص بالمعادن ظل أجيالا طويلة من أهم مراجع علم طبقات الأرض في جامعات أوروبا .

وهو وسوعته الأخرى الضخمة هي ( الشفاء ) في الفلسفة . ومن كتاباته في ( القانون في الطب ) : « ومن علامات الصحة الشعر الطويل ورائحة طيبة وجسم جميل التكوين » ويقسم عمر الإنسان إلى أربع فترات الأولى فترة النمو وتمتد من الولادة إلى سن الثلاثين . والثانية سن الحيوية والحمل من الثلاثين إلى الأربعين . والثالثة سن الاضمحلال من الأربعين إلى الستين والرابعة هي فترة نحو الفناء وهي ما بعد الستين . ثم هو ينصح الأم المريضة بألا ترضع طفلها ويشير بالاستعانة بالمرضعة ويجعل لاختيارها شروطاً صحية لا تفرق عما نعرفه اليوم . ويتحدث عن النظام والتسنين ، ويوصي بتدليك اللثة بدهن الديك . وهو يصف اللبن الحامض كعلاج للإسهال عند الأطفال . ويذكر كثيرا من النصائح والإرشادات في تربية الأطفال وكيفية تدريبهم على كبح جماح شهواتهم وتحويل اهتمامهم إلى نواحي الروح والفكر ، وكيف أن جمال الوجه والجسم لا يكون إلا لذوى الأخلاق الحميدة .

ثم يوجه اهتمامه إلى الشيوخ كبار السن وواجب تنظيم غذائهم والحفاظ على نظافة أمعائهم . ويذكر في فصول طويلة فوائد التمرينات الرياضية والتدليك وحمامات البخار .

وتقرأ أحاديثه عن الزواج في لذة وسرور إذ يقول : وعلى المتزوجين أن يراعوا حسن العلاقات بينهم فيسود الوئام وينتشر جو السعادة والصفاء والهناء . وبذلك يهيئون للأطفال في فترة الحمل جوا يشمل السعادة . فيولدون أقوياء الجسم . وجوههم جميلة وطباعهم هادئة وديعة » .

ويتحدث عن مياه الشرب فيقول « وأحسن المياه هي الجارية التي

تعرض للرياح وأشعة الشمس وغلى الماء أو التقطير لتنقيته ثم تطهير جو البلاد الموبوءه بحرق الأعشاب العطرية .

وبالرغم من حياته الآمنة في طهران فإنه لم يكن مطمئناً إلى الإقامة هناك فكتب إلى نجم الدولة أمير أصفهان يطلب إليه الالتجاء إلى بلاده . فلما علم بذلك أمير حمدان عاقبة بالحبس في حصن ( فردا جان ) . فارتاح إليه وكأنه وجد في سجنه مبتغاه . إذ كانت الحياة الهادئة تساعده على تأليف كتب أخرى جديدة . فكتب في سجنه كتاب ( الحكمة ) وكتب في الطب والتصوف والحب . وعندما أطلق أمير حمدان سراحه لم يلبث أن فرّ هارباً وقاسى في رحلته عبر الصحارى والجبال الأهوال والمتاعب يذكرها في كتاب ( بحث في الحظ ) ويقول فيه « إن مرور الأيام كنبيل بنسيان الهموم والمتاعب . وهو يطئء شهوة الانتقام ، ويهدى من ثورة الغضب ويقتل الأحقاد . فإذا بالماضى وكأن لم يكن . تسمى في غمارها المصائب والمتاعب » .

ووصل إلى أصفهان مدينة الزهور والورود فاستقبله أميرها بالإكرام والترحاب . وأغدق عليه هداياه وبذلك بدأت صفحة جديدة من حياة ابن سينا . وأخذ يعمل ويواصل ليله بنهاره . ويعقد الحلقات العلمية والفلسفية . ومات وهو في السابعة والخمسين . ولعل من سخرية التدر أنه مات بعد أن قاسى من مرضى الدوسنطاريا أمداً طويلاً لم يستطع له علاجاً . وهو الذى كانت تهرع إليه جموع المرضى . وقد ذاع صيت نبوغه في علاج الأمراض حتى بلغ أقاصى الأرض . وقد بدأت كتبه تترجم منذ القرن الثانى عشر . وكانت فلسفته ودراساته في الطب والطبيعة والميتافزيقا تدرس في السربون بباريس . أما قانون الطب فقد جعل أساساً لبرامج تعليم الطب في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر . وكان ابن سينا شاعراً ومن أشهر قصائده الخالدة قصيدته التى

مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع  
ومن أرجوزته الطبية :  
ورقاء ذات تدلل وتمنع  
الطب حفظ صحة براء مرض  
من سبب في بدن ومن عرض

### الكندي :

ولد حوالي سنة ٨٠٠م وتوفي في بغداد عام ٨٧١ . من أبرز العلماء في العصر العباسي كان طبيباً ومترجماً وكيمائياً وموسيقياً وترك فيها نحو خمسين مؤلفاً ترجم بعضها إلى اللاتينية ( جيران الكريموني ) . وأهم كتبه الطبية والصيدلية ( الطب الأبقراطي ) - ( والغذاء والدواء المهلك ) - ( والأدوية الشافية من الروائح المؤذية ) - ( كيفية إسعال الأدوية وانجذاب الأخلاط ) - ( أشقية السموم ) - ( الأدوية المركبة ) - وفي الكيمياء رسالة يحذر بها من خداع السياميين وكذب ادعائهم تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب وفضة - ورسالة في كيمياء العطور .

### ثابت بن قرة :

عاصر الكندي وكان طبيباً وعالماً في الرياضيات والفلك وترجم وألف الكثير من الكتب .

### سنان بن ثابت بن قرة :

كان طبيباً للخليفة المقتدر وكان الخليفة يثق فيه كما يثق في أبيه ثابت بن قرة . لذلك عين سنان رئيساً للمحتسبة لا يسمح لأي طبيب

أو صيدلي أن يحترف مهنته دون تأدية امتحان أمامه . إذ حدث في بغداد عام ٩٣١ أن أحد الأطباء أخطأ في علاج أحد المرضى مما أدى إلى وفاته ، فتقدم أهله بالشكوى إلى الخليفة المقتدر .

ويذكر القفطى أن ثمانمائة وستين طبيباً تقدموا لامتحان أمام سنان ابن ثابت . وترك مؤلفات طبية وكان له الفضل في إنشاء مستشفيات عامة وأخرى متنقلة وزيارة المرضى في السجون والعناية بهم .

## البيروني :

ولد أبو الريحان البيروني في خوارزم وتوفي عام ٤٤٢ هجرية وصفه سخاو بقوله « البيروني أعظم عقلية عرفها التاريخ » عاصر ابن سينا وكانت بينهما مجادلات في العلوم والفلسفة . كتب البيروني في الطب والفلسفة والصيدلة والرياضيات والفلك والشعر والطبيعة . وكان أول من حدد الوزن النوعي للعناصر تحديداً دقيقاً إلى حد كبير إذا قورنت جداوله بنظائرها الحديثة وألف كتاباً عن المعادن والأحجار النفيسة ومن أهم كتبه ( الصيدلة ) وهو يعرف مهنة الصيدلة والعقاقير المفردة والمركبة واستعمال العقاقير البديلة عند تعذر وجود العقاقير الأصلية . وظل في وطنه حتى الأربعين من عمره دون أن يسافر إلا نادراً . ثم دعاه سلطان الغزنويين فلبى الدعوة وأقام عنده أكبر شطر من حياته بعد الأربعين وقام برحلة إلى الهند ألف خلالها كتاباً عن علومها وأديانها وفلسفتها .

## ابن البيطار :

من أكبر علماء النبات العرب . قام برحلات إلى اليونان ومصر

والمغرب والشام وجمع النباتات والحشائش ولازم ابن أبي أصيبعة المؤرخ  
الطبيب الذي قام بتأليف موسوعته ( عيون الأنباء في طبقات الأطباء )  
ذكر فيه حياة نحو أربعمائة من رجال الطب والكيمياء والطبيعة من العرب  
واليونان وقد اعتمد على كتاب التفتي المصري ( إخبار العلماء بأخبار  
الحكماء ) في جزء كبير منه .

درس ابن البيطار النباتات الطبية والأعشاب وأخذ يقارن بين دراساته  
الخاصة وتجاربه عليها وما كتبه ديستوريدس وجالينوس من الغرب  
والإدريسى والغافقي من العرب . وعينه الملك الصالح الأيوبي رئيساً  
للعشابين في مصر . وأشهر كتبه ( الجامع لمفردات الأدوية والأغذية )  
و ( المغنى في الأدوية المفردة ) .

## من الدولة العباسية إلى الأندلس

عند ما ضعف خلفاء الدولة العباسية بدأ بعض حكام ولاياتها يستقل بها . وظهرت الدولة الطولونية في مصر وأعتبها الإخشيدية ثم الفاطمية وكذلك الدولة النسانية في بخارى والغزنوية في غزنة والحمدانية في حلب والموصل .

### مستشفى نور الدين في دمشق :

بنى السلطان نور الدين مستشفاه لذكرى انتصاره على الصليبيين . قال عنه مؤرخو ذلك الوقت إنه لم يكن له مثل في العالم . وفي إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى حكاية الظاهري الرحالة والمؤلف المصرى الذى أراد أن يقف بنمسه على حال المستشفى وأعجب بما شاهده من عناية فائقة بالمرضى وعند ما جاء دور الكشف عليه فحصه رئيس الأطباء فحصاً دقيقاً وجس نبضه فوجد أنه صحيح لا مرض فيه . وبالرغم من ذلك فقد وصف له الدجاج والأشربة والفاكهة الشهية والحلوى وبعد ثلاثة أيام من إقامته كتب له وصفة قدمت إليه وقرأ فيها ( إن حدّ الضيافة في المستشفى ثلاثة أيام ) .

وزار الرحالة ابن جبير هذا المستشفى ووجد القائمين بالإشراف عليه يعنون بتسجيل الإصابات المرضية وقائمة بأسماء المرضى والأموال التى تنفق على المستشفى . ولاحظ عنايتهم بالتطبيب والطعام والدواء وكل هذا دون مقابل . وكان في المستشفى مكتبة وصيدلية ومدرسة لتعليم الأطباء والصيادلة الذين كانوا يتقدمون للامتحان قبل ممارسة مهنتهم . وكان المحتسبة وهم الذين يقومون بالتفتيش على الصيادلة والأطباء والحجامين والفصادين والمجبرين يراقبون أعمالهم .

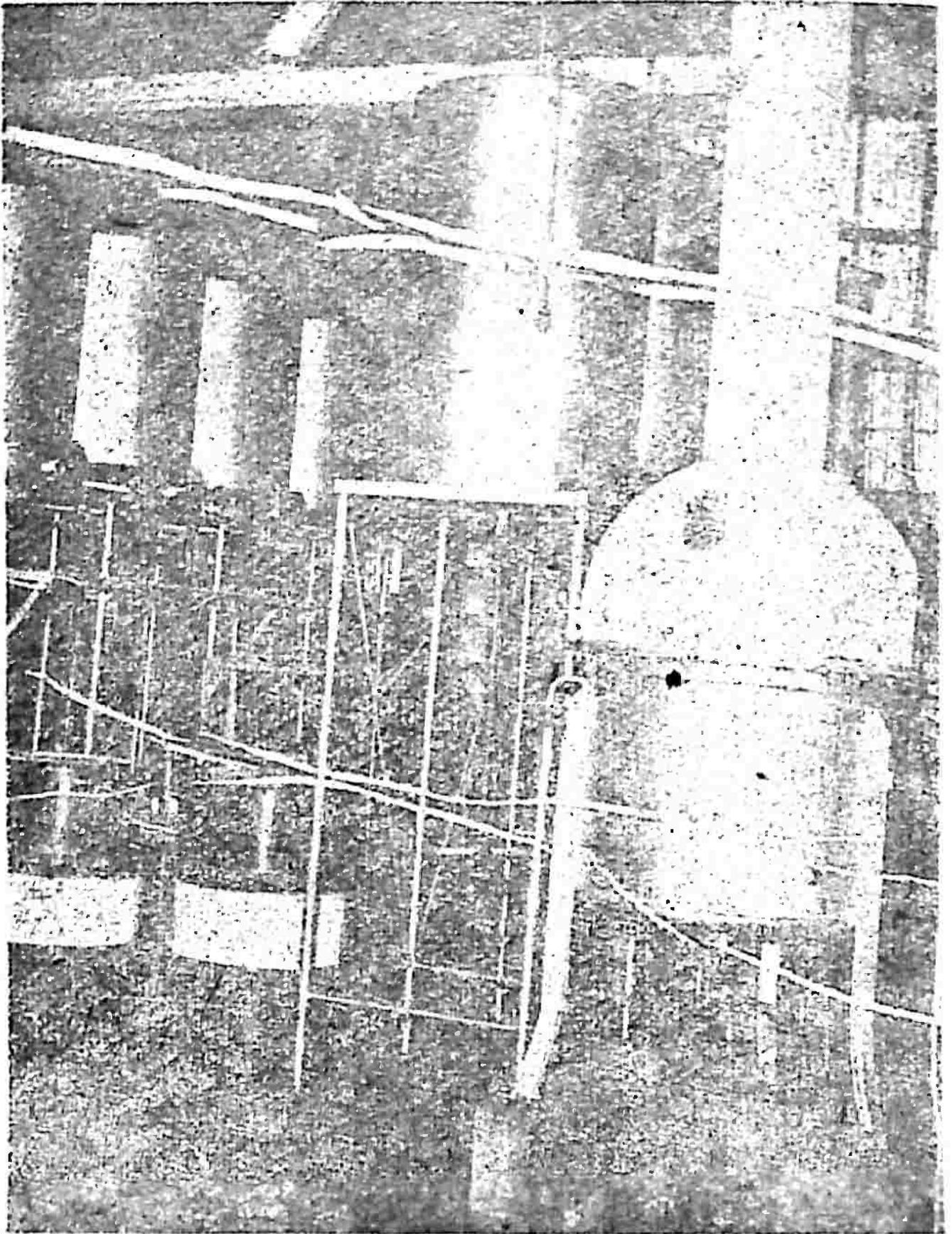
## مستشفى ابن طولون في القاهرة :

أرسل العباسيون أحمد بن طولون إلى مصر سنة ٥٢٥ هـ وأراد أن تنافس بغداد في حضارتها وعلوها . فأنشأ أول مستشفى كان يطلق عليه ( بیمارستان ) في النمسطاط بعد وصوله إليها بخمسة أعوام وألحق بالمستشفى صيدلية ورتب لهما الأطباء والصيادلة للعناية بالمرضى . وكان المريض عند دخوله تنزع عنه ثيابه وتحفظ لحين خروجه ثم يلبسونه ثياباً خاصة ويفرض له الغذاء والدواء حتى يشفى ( فإذا أكل فزوجاً ورغيفاً يعطى ماله وثيابه ) وينصرف إلى بيته .

## الفاطميون في القاهرة

كانت القاهرة أيام الخلافة الفاطمية من عواصم الحضارة العربية لا تقل ازدهاراً ومدنية وحضارة عن بغداد وأنشئ الجامع الأزهر في القاهرة فكان مركزاً للعلم والدين يجتمع فيه علماء العالم وأدباؤه وفلاسفته كما كانوا يجتمعون للدراسة والتدريس في جامعة الإسكندرية القديمة . إذ كان الأساتذة والطلبة يقيمون في مساكن ملحقة بالجامع الأزهر وكانت مكتبته المسماة بالمكتبة الفاطمية من أغنى مكاتب العالم قيل إنها جمعت مليوناً من الكتب .

ومن المستشفيات التي أنشئت في القاهرة في ذلك العهد المستشفى المنصوري . وقيل إن السبب الذي دعا الخليفة المنصور إلى إنشائه أنه أصيب بمغص كلوى اضطره إلى دخول مستشفى نور الدين في دمشق وبعد أن شفى زار أقسام المستشفى قبل خروجه وأعجب بكل ما شاهده ونذر بناء مستشفى يفوق مستشفى نور الدين إذا هو ولي الخلافة وقد وفى بالنذر



مصنع تقطير شركة النصر للمطهر

عام ١٢٨٣ م . وشيد أعظم مستشفيات العصور الوسطى . كان بناء مربعاً تتوسطه النافورات والأشجار والزهور . وكان القرآن الكريم يتبادل تلاوته خمسون من المقرئين ليلاً ونهاراً ويقوم الوعاظ بتفسير آياته البيئات والوعظ والإرشاد . وكان بالمستشفى أقسام خاصة للمرضى ، فالجراحة قسم وللعيون والدوسنطاريا والحميات والجذام والأمراض العقلية أقسام أخرى وجناح خاص لكل من الناقهين من الرجال والنساء وكانت به فرقة موسيقية تعزف أثناء النهار ومسجد ومكتبة وقاعة فسيحة للمحاضرات وصيدلية يقوم بالإشراف عليها صيدلى . وكان المرضى يمنحون عند خروجهم من المال ما يغنيهم عن العمل فترة النقاهة .

وقد تجدد بناؤه عام ٧٢٦ هجرية أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون . وجدده مرة أخرى الأمير عبد الرحمن كتحذا .

وجعل فيه خدمة ليلية وتوافرت فيه جميع صنوف الأدوية والشراب والعلاج دون مقابل أو تمييز .

وكان الصيادلة لا يمارسون عملاً في هذا المستشفى أو غيره من المستشفيات التي وصل عددها إلى عشرات المستشفيات - إلا إذا كان معروفاً عنهم الأمانة والكفاية ويعطون التراخيص بعد تقييد أسمائهم في سجل خاص بهم كما كان لكل صيدلية أمين يتسلم ما بها ويحافظ عليه . وفي القاهرة مفتشون للصيديات الخاصة والعامة وحوانيت العطاراة والعشابين يراقبون أعمالهم .

### تذكرة ابن داود :

ترك لنا عدد من أطباء العرب وصيادتهم والدارسين للنباتات والأعشاب الطبية والعقاقير على سائر أنواعها كتباً لا تقل أهمية عما كتبه الأطباء والعلماء أنفسهم . فهذه تقدم لنا صوراً واضحة لما كان عليه العلاج

بالعقاقير والأعشاب والأحجية والوصفات الطبية الشائعة الاستعمال توضح لنا مهنتى الطب والصيدلة حتى أواخر القرن الماضى .

ورسموا لنا صوراً لصيدلياتهم العربية الخاصة فى عواصم حضارتهم وقد ارتدى الصيدلانى ثياباً بيضاء واقفاً بباب صيدلية يصرف الدواء ومن ورائه الأرفف الممتلئة بالأوعية والقوارير . وفى صورة منها الصيدلى يشترى من أحد العشابين المتجولين بعض ما يحمله من أنواع الحشائش التى كانوا يعترفون بمزاياها الطبية ويجمعونها أو يستوردونها من بلاد الصين والهند وأفريقيا الشرقية من صمغ عربى وتوابل وقرنفل وكافور ومسك وصندل وحب العروس وعنبر . . . .

وكانوا يستخرجون السكر من قصب السكر ويصنعون منه الشراب والحلاب وأنواع الأشربة التى أتقنوا صنعها . كما أنهم كانوا ذوى خبرة فى استعمال أملاح معدنية كثيرة كأملح الزئبق والرصاص والحديد والصدودا والبوتاس ، كما أنهم كانوا يحضرون فى الجزء الخاص بالمعمل من الصيدلية الزيوت العطرية والكحول والأزواح .

و (تذكرة ابن داود) كتاب ضخيم معروف لدى العطارين ومحى البحث فى العقاقير العربية القديمة كما أنه كان من مراجع الصيادلة فى القرون الماضية ويشمل عقاقير وأعشاباً ووصفات طبية مرتبة حسب الحروف الهجائية بل به بعض التعاويذ والرقى والأحجية والبخور وتأثير الأبراج على الأمراض . أما العقاقير والوصفات الطبية والعلاج فجزة كبير منها مأخوذ من كتب السابقين من أمثال ديسقوريدس وبوسوعته عن العقاقير والأعشاب الطبية وجالينوس وكتبه التى كان من أهمها (العقاقير البسيطة) و (كناسة الطب للراهب السكندرى أهرون ثم (الحاوى) و (الأقرباذين) وكلاهما لأبى بكر الرازى و (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) لابن البيطار والأدوية المفردة للغافى .

ولد داود بن عمر في أنطاكية عام ٩٥٠ هجرية وقام برحلات إلى دمشق وغيرها من بلاد الشام ثم استقر به المقام في القاهرة وله كتب أخرى غير (تذكرة أولى الألباب) منها كتاب (المهجة والدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة) و (غاية المرام في إصلاح الأبدان) ومن تذكرة أولى الألباب المشهورة بتذكرة داود .

(الحناء) : « الحناء نبت يزرع ولا يوجد بدون الماء . ورقه كورق الزيتون ولكنه أعرض سيرا . وليس في الخضابات أكثر سرياناً منه ومسحوقه عظيم النفع في قلع البثور . وماؤه يذهب اليرقان ويفتت الحصى ويقطع النزلات وأنواع الصداغ . وهو مع السمن ودهن الورد يحلل الأورام ووجع المفاصل ويقطع الجرب المزمن ويلحم الجراح ويذهب قروح الرأس ويصلح الشعر خصوصاً بماء الكزبرة » .

ويصف (الجوز المقيئ) وهو الذي يستخرج منه الصيادلة الكيماويون الآن أملاح الاستركنين وتدخل صبغة الجوز المقيئ في العقاقير المركبة حتى اليوم . وكذلك (جوز مائل) وهو اللاتورة (السترامونيوم) يكتبه كثير من الأطباء في العصر الحالي لعلاج السعال وأمراض الربو أو يستعمل كأعشاب تحرق يستنشقتها المريض أو سجاير يدخلها لضيق التنفس . ويقول ابن داود عن اللاتورة « قيراط منه في النبيذ يسكر سكرأ شديداً . وهو مخامر ومنوم وردى للدماع . ودرهم منه يقتل ليومه ، ويداوى بالقيء بماء قد غلى فيه النظرون ثم يستقى اللبن الحليب مطبوخ فيه زعتر . وهو يورث النوم . والإكثار منه يضيئ وهو عدو القلب والشربة منه دائق » .

وعن قشر الرمان « إن طبخ قشره خصوصاً مع العفص حتى ينعقد يقطع الإسهال المزمن والدم شرباً ويلحم القروح والجراح طلاءً وشرباً وإذا شرب مطبوخاً أسهل الديدان » .

( الشمر ) : « الشمر عطري ذكي الرائحة وهو برى وبستاني ويوجد بمصر في غالب الأزمنة . ينفع في الحفقان والسعال والربو وعسر النفس ويحلل الرياح الغليظة والتولنج ووجع الجنب ويصلح المعدة ويدبر البول والحيض وينقي المثانة والأخلاط اللزجة ويفتت الحصى ويزيل الحميات والفواق وخبث النفس والصداع ومحرقه . يمنع انتشار القروح » .

( الزئبق ) : « أحد أصلي المعادن كلها وهو الأثني . يوجد قطرات تزيد إلى أن تمتزج ويستخرج أيضاً من أحجار زنجفورية بالنار على طريق التصعيد . والزئبق بارد رطب إذا مزج بالكندر والراتنج والشمع والزيت والحناء ودهن به . والزئبق من الداخلة قتال . وكثيراً ما يفضى إلى الأمراض الرديئة كوجع العصب . ويعرض منه ما يعرض من السموم ويصلحه الشيء بالسيرج واللبن والماء الحار » .

ومن كتب الطب الشعبي المشهورة أيضاً كتاب :  
( منهاج الدكان ودستور الأعيان لأبي المنى داود بن أبي النصر من علماء القرن السابع الهجري .

وفي الفصل الأول منه نصائح ( لمن استصلح نفسه أن يكون متقلداً بعمل هذه المركبات أن يكون على غاية من الدين والثقة والتحرز والخوف من الله تعالى أولاً ومن الناس ثانياً ) : « اعلم . . . وفقك الله لطاعته وأرشدك إلى مرضاته أن الله تعالى خلق للإنسان عقلاً وجعله كالسراج يفرق به بين الخير والشر والحسن والقبيح . وجعله مخيراً في ذلك وأن المبدأ منه تعالى فإذا أراد الله بإنسان خيراً أجرى الخير على يديه وأعانته على فعله وإذا كان غير مستحق لذلك تخلت عنه العناية ففعل الشرور فقبول عليها في الدنيا والآخرة . والآن فاحرص يا ولدي أن تكون في نفسك أولاً تقوى الله تعالى والخوف مخوف محبة في ذاته . لا خوف عقابه فإن أجرك يكون عظيماً ويكون جانبك من الناس سليماً . . . واعلم أنه لا

ذنب أعظم من ظلم الناس وأخذ أهـ والهم بغير حق لا سيما من كان ضعيفاً أو مسكيناً . كمثل مريض قد أشرفت نفسه على الملاك فيستدعى طبيباً حاذقاً فيكتب له ورقة تطمئن بها جوارحه على أنها يكون بها برؤه مع عناية الله تعالى واتكل فيها على الصيدلانى أعنى العطار فقد رجع الأمر إليك فلا إثم إن فرطت إلا عليك فهل تستحسن أنت لو كنت مريضاً أن تفرط في حقك وأنت تعلم أن هذا التفريط مؤد إلى إتلاف المال والروح وأنت تعلم قدر العقاب من الله تعالى على هذين الذنبيين . وفي هذا القدر من التنبيه على ما ينبغى كفاية لمن كان ذا بصيرة ولباً نير فتذكره بكرة كل يوم ومساءه واحفظه ولا تنساه والله أعلم .

ومن الأدوية المركبة التى ذكرها ( منهاج الدكان ) الجلاب وهو الأشربة السكرية مثل شراب الورد وشراب دينارى . ومئات الأشربة والمرببات والربوب ، وهذه الأخيرة عصير الفاكهة المركز دون إضافة سكر والجوارشبات لمضم الطعام والسفوف والأقراص والحبوب واللحوقات والترياق والأيارجات والأكحال والأشياقات لعلاج العيون والمراهم للجروح والقروح . وأدهان لزيئة الوجه والبخورات والفتائل المسهلة والقابضة والضمادات والجبارات والسعوطات والنفوخات . وفي هذا المنهاج ثبت حسب الحروف الهجائية للأدوية البديلة عند تعذر الأدوية الأصلية وكيفية فحص العقاقير ومركباتها والتأكد من عدم غشها والذي يقوم المفتشون بالتمتيش عليها . وأعمار الأدوية وكيفية حفظها دون تلف .

وكتاب شعبى ثالث اسمه ( الرحمة فى الطب والحكمة ) ومما جاء فيه من وصف الأعشاب والتركيبات واستعمالاتها ، وهذه من بين آلاف الوصنات كنهـ وذج لها :

( الثوم ) : « قال بقراط الحكيم شفاء للناس من السموم وهو حار يابس حريف إذا أكل مع العسل على الريق قطع البلغم والرطوبات

انتفاضة من الجوف وقوى المعدة وقتل الدود المتولد من العفونات . وأذهب  
البواسير وطيب النكهة وحلل الريح المنعقدة وإذا سحق مع ملح الطعام  
وضمد به البواسير الرطبة حالها وقطعها . وإن ضمد به نهش الأفاعى  
والحيات وعض الكلاب والوحوش وكل شىء له سم يسرى فى البدن قطعه  
وسكن الوجع وكان سبباً للعافية والله أعلم بغيبه وأحكامه .

(الصبر) : « الصبر معتدل الرطوبة يدخل مع كل دواء ومرهم  
بطبيعته وهو أمان للنجوف من جميع العلل إذا أدخل مع المعاجين  
والسفوفات . . . »

(الحلبة) : « إذا طبخت وشريت لانت العروق والمفاصل اليابسة  
وأطلقت عسر البول وفتقت الحصاة وتولد منها غذاء جيد . وفى حديث  
غريب : لو يعلم الناس ما فى الحلبة لاشتروها وأو بوزنها ذهباً . . . »  
(الكنار) : « وهو اللبان الذكر يتمتع البلغم وينفع فى السعال . . . »  
(يزر قطونه) بارد رطب إذا نقع مع السكر فى ماء بارد وماء ورد  
وعصر وشرب ماؤه سكن الحرارة التى فى الجوف . وإذا نقع فى الخل  
وحده ساعة ودهن به الأورام والدمامل خف الورم وسكن الألم .

(وصفة لصبيغ الشعر) : « تأخذ حناء مطبوخة وتضربها بالماء حتى  
يصير رقيقاً . ثم تأخذ من العنب الأسود إن أمكنك وتجعل الماء والحناء  
فى إنبيق وتضعده وتأخذ ما يتطر منه فيخضب به الشعر الأبيض ثلاثة  
أيام متوالية فإنه يسود الشعر . . . »

وبالكتاب علاجات عديدة للصداع وأوجاع العين وضعف البصر  
وعلاج قروح الرأس وكحل للعين ولشمس الوجه ( يطلى الوجه بماء البصل )  
والحل ونمعه أيضاً فى السهاق والبرص . وعلاج زكام الأنف وقروح القدم  
وتشق الشفتين وعلاج الأسنان وتبييضها . ونحة الصوت ووصفة طبية  
لما وهذه هى :

« نخذ جزء فلفل ودار فلفل      والجلجلان مثلهم لا تفعل »  
 « وقاع قلة لها مثل      تبرى الأذى ويصلح العليل »  
 « وجوزة الطيب على البيان      وجوزة شرك إليه ثاني »  
 « لسان عصفور كذا فضفه      لأنه من شكلهم فاعرفه »  
 « واجمعهم جمعاً بسحق ناعم      حتى يصير كالرماد الفاحم »

وعلاج داء الثعلبية في الشعر والبهاق وأوجاع الظهر والمفاصل وضيق  
 النفس وعلاج الحروق من النار أو الشمس وعمل الكبد والكلى والطحال  
 وطرق القصد والحجامة وحصى المثانة والبول الدموي والصديد وعلاج  
 البواسير . وبينما يعالج أكثر الأمراض بالعقاقير فهو يستعمل السحر  
 والتعاويد كما أنه يذكر صناعات كيمياوية مثل صناعة الحبر الأحمر  
 والأخضر والأزرق والصبغات واستخراج الزيوت الغذائية والعطرية من  
 النباتات وبدورها وزهورها وأوراقها وكيفية دبغ الجلود .